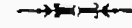


الانتاج العقلي للأمم

للدكتور جواد علي



كانت الفكرة السائدة حتى أوائل القرن الثاني عشر تقول بتطور البشرية تدريجياً من نقص إلى كمال ، ومن جهل إلى علم . وقد اختلفوا في المبدأ ، هل كان الإنسان في يده خلقته كاملاً ، ثم انعكس وتدهور لخطيئة وقع فيها ، ثم بدأ يستغفر من ذنبه ، ويكفر عن سيئاته ، أو أنه بدأ كما نعرفه الآن ، ثم هو أخذ في التطور إلى التكامل شيئاً فشيئاً ، حتى يعود الإنسان الكامل ذا المثل العليا التي يريدها بعض الفلاسفة وأصحاب الأحلام البعيدة^(١) . غير أن تطور العلم الطبيعي ، وانتصار أوروبا في ساحات الفن والصناعات الضخمة والاستعمار ، زلزل هذه الفكرة وولد في نفوس العلماء من أبناء تلك القارة ، فكرة الاستئثار بالزعامة والقيادة العالمية . فقسمت الشعوب العالمية إلى طبقات وأجناس لكن منها خواص وأوصاف كما هو شأن عالم الحيوان والنبات . وإذا كان علماء النبات أو الحيوانات يقسمون العالم النباتي أو الحيواني إلى فصائل وأجناس ، فلم لا يقسم علماء الأجناس البشرية ، البشر إلى فصائل وأجناس كذلك ؟ تستأثر أوروبا بالفصائل العالمية والأوصاف الراقية ؛ ثم تعطى ما تجود به للفصائل التي تحت إليها بصلة وقرابة ، ثم الأبعد فالأبعد .

وبعض الآراء المتعددة ترى العالم مؤلفاً من مجموعة حضارات^(٢)

(١) انظر ذلك في الفلسفة المسيحية وخصوصاً الدور المسيحي scholastik ومبعث Gnade أو الخلاص من الخطيئة وفلسفة Fichte ١٧٦٢-١٨١٤ وكذلك Herder (١٧٤٤-١٨٠٣) في كتابه Ideen zur Philosophie der Geschichte der Menschheit وكذلك Hegel (١٧٧٩-١٨٣١) في كتابه Die Vorlesungen über die Philosophie der Geschichte

(٢) تميز اللغة الألمانية بين كلمة Kultur المأخوذة من اللاتينية Cultura من Colere ومعناها الاعتناء بالأرض وإصلاحها وزرعها فاستعملتها لكتابة البشر وخصصتها بالمسائل الروحية فقط والناحية النفسية مثل الشعور والمواظب والديانة والموسيقى والاجتماع والسياسة والتربية على اختلافها (انظر ص ٣٥١ Philosophisches Wörterbuch و Heinrich Schmidt واستعملت كلمة Zivilisation المدنية المأخوذة من اللاتينية كذلك Civis للدلالة على الحالة التي تعقب التوحش ثم خصصت بعد ذلك للانتاجات العقلية

مستقلة لكل منها روحية خاصة ونفسية سماها (نفسيات الحضارة Kulturseelen) كما هو رأى الفيلسوف Spengler و Oswald تمر عليها جميع أدوار الحياة المعروفة من ولادة وطفولة وشباب ثم شيخوخة وموت ، تستغرق هذه المدة حوالى ألف سنة ، وأن ثلاث حضارات جاءت على التوالي تكمل الواحدة الأخرى وهي الحضارة اليونانية وسمتها (apollinische) والحضارة العربية وخاصيتها (magic) والحضارة الأوربية الجرمانية وهي (faustische)^(١) بينما رأى الفيلسوف الألمانى الآخر Graf Herman Keyserling (كراف هرمان كيسرليك مؤسس مدرسة الحكمة في مدينة دارمشتت Darmstadt) تنوع الحضارات البشرية كذلك واختلافها ولكنها ترجع كلها إلى أصل واحد ومنبع منظم هو القوة الخارقة الموجودة في البشر التي تدفع الأمم بالسير إلى الأمام . قد تكون هي الحكمة (weisheit) لذلك كان يرى وجوب الاستفادة من الحكمة بدلاً من العلم المجرد^(٢)

وقد نشأ من جراء البحث المتوالى في اختلاف عقليات الأمم وقابليات إنتاجها بحث خاص يسمى Kulturmorphologie غابته التعمق في دراسة أُم الأرض ، واستخراج الأسباب التي أدت إلى ازدهار الحضارات أو هبوطها. وقد قسم العالم A. Sutherland شعوب العالم إلى أربع طوائف :

١ - الشعوب القطرية ، أو التي تعيش على الطبيعة الأولى

وسماها Naturvölker

٢ - الشعوب المتوحشة للبرية Barbarvölker

٣ - Zivilvölker أو الشعوب المتقدمة

٤ - Kulturvölker أو الشعوب المتحضرة . ولكل من

الظاهرة مثل أشكال المدن والصناعات أى الصناعات والفنون الآلية من العصر . ومنى ما انحطت الحضارة تهبط إلى المدنية قد يمكن أن تتساوى الشعوب في المدنية أما من ناحية الحضارة فلا يمكن ذلك إذ أن لكل شعب هواط وروحيات خاصة به . انظر نفس الكتاب كذلك ص ٧٤٦ واللغة الانكليزية والفريسية لا تميز بين الكلمتين انظر كتاب Geschichte der Z. in England

(١) انظر كتاب Phil. Wörterbuch ص ٦٢٠ وكتاب Lehrbuch

der Geschichte der Philosophie و Windelband ص ٦٠٩ مادة ٣

فصل ٤٩

(٢) انظر Phil. Wörterbuch ص ٣٢٨ وكتاب Der mythus ص

٢٩٦ ، ٦٠ ، ١١٥ ، ٤٠٣

إليه والبلشفية والشيوعية التي تتخذ المادة كأساس في كل شيء. إذ يقول : « الآراء السائدة في زمن ما تمثل آراء الطبقة الحاكمة في ذلك الزمن ^(١) » وكذلك قوله : « غيروا الوضع السياسي والوضع الاقتصادي تغيروا بذلك للبشر ^(٢) » ولذلك تحارب البلشفية للنظام الرأسمالي لأنها تعتقد أنه مصدر كل شر، وإزالة هذا النظام تغير العقلية البشرية وتذكيرها ويظهر تفكير عالمي جديد . وهذا الرأي مأخوذ بصورة مكبرة عن البدأ المادي الذي يحمل المادة أساس كل شيء والروح نتيجة عمل الدماغ . بل لقد غالى الفيلسوف فويرباخ (١٨٠٤ - ١٨٧٢) Ludwig Feurbach حتى قال : « الإنسان يكون حسبها يكون أكله ^(٣) »

لست بمتعرض للنقد هنا ولكن أقول : للطرفين غلو عظيم، وكلا الرأيين قديم في تاريخه يرجع إلى عصور اليونان وربما يرجع إلى أقدم من ذلك . وإنى أرى أن هنالك آراء عامة تطرق إليها عقل كل إنسان، كل على حسب قابليته ومحيطه ، ومن هذه الآراء هذه المشكلة ، ولكن الأساليب في معالجتها تختلف والوسائل تتغير ؛ والاكتفاء بالدم والأرض في تعيين الإنتاج المادي للأمم أمر يخالفه الواقع . ونرى أن التطور الاقتصادي مثلاً قد قلب أوروبا رأساً على عقب وغير مقاييسها الأدبية والأخلاقية والزعة الروحية التصوفية التي سادت ألمانيا والعالم بعد الحرب العظيم ، وأن حب التشاؤم الذي ساد كذلك، وظهور ما يسمى بـ Sexualität أو اليول الشاذة بأجل مظاهرها ومعالجتها علناً، وظهور مذهب expressionism ومذهب impressionist ^(٤) تدل على أن المادة مؤثرة في الروح لا محالة . وكذلك من باب المغالطة جعل الإنسان آلة تتحرك بمؤثر خارجي كالألات الصماء التي تشغل في العامل . وما تجده من العوامل الروحية في الطفل وفي حالات الجرمين بالطبيعة ، والذكاء

(١) انظر كتاب الاشتراكي الهولندي Piendrik de man المسمى Der Sozialismus als Kultur bewegung ص ٥

(٢) انظر نفس الكتاب ص ٦

(٣) انظر كتاب Geschichte der Philosophie, Vorländer

ص ٢٢٢

(٤) انظر كتاب Curt Gebauer المسمى Detsuche Kultur

Geschichte der Neumeit فصل الحضارة بعد الحرب العظيم

هذه الأقسام درجات ثلاث : واطئة ، وسطي ، وعليا ^(١) ولكن هنا مشكلة عظيمة تجابه الباحث ، وهي الدوافع الخفية التي تدفع بالشعوب إلى الحضارة وإلى إنتاجها الروحي ، هل هو عامل داخلي يدفعها إلى ذلك دون مؤثر خارجي ، أو عامل خارجي يمتدح كما يذهب إليه الماديون وأتباع كارل ماركس ، أو دوافع المحيط الخارجي كالزمان والمكان كما هو رأى العالم Les Frobenius (ولد ١٨٧٣) (أنظر ص ١٩٣ Phi. wörterbuch) وبين المبدأين بون شاسع كما يظهر . ومن أتباع المذهب الأول العالم الفرنسي Gustave Le Bon (١٨٤١ - ١٩٣) و H. st. Chamberlain و Ratmenhafer و Waltmann و V. Eickstedt في ألمانيا و Ward في أمريكا . جعلوا المنصرية العامل الأساسي في تكوين الحضارة . ومن هذه النظرية استحدثت للنبازية رأياً من أن الحضارة العالمية نتيجة العقاية الآرية فقط ، وأن العالم يتألف من طبقات ثلاث حسب رأى هتلر مؤسس هذا المذهب ، من :

١ - شعوب أسست الحضارة Kulturbegründer

٢ - وشعوب تنقل الحضارة دون أن تصنف إليها شيئاً

أو تغير فيها ، وسماها Kulturträger

٣ - وشعوب هدمت الحضارة وأفسدت سماها :

Kulturmerstörer ومن هذه الشعوب الروسي البلشقي ، ولا أدري

أغير رأيه الآن بعد اتفاقه مع البلاشفة أم لا

وتتلخص فكرته في أن الحضارة البشرية نتيجة عاملين

فقط : الدم والأرض Blut und Boden والمنصرية هي المظهر

الخارجي للروح ^(٢)

على عكس هذه النظرية تماماً نظرية « كارل ماركس »

Karl Marx (١٨١٨ - ١٨٨٣) مؤسس المذهب المنسوب

(١) أنظر كتاب Phi. wörterbuch ص ٣٥٣ وكتابه الشهير

aüber den wrsprung und das wachstum des moralischen instinhts 1898

(٢) انظر كتاب هتلر كفاسي Mein Kampf ج ١ ص ٢٨٥ ،

٢١٦ ، وكذلك كتاب روزنبرك Der Mythos ص ٦٠ ، ١١٥ ،

٤٠٣ وكتابه Blut und Boden ١٩٣٤

أو الجلود للتفكرى يناقض النظرية المادية تماماً

ولكن ما هي المقاييس التي ستنتخب للحكم على أمة بأنها متحضرة وعلى درجة حضارتها ؟ أجد أن الأساليب التبعية الآن في أوربا في تعيين الحضارات كلها مقاييس واهنة ، إذ هي تقيس كل حضارة بالنسبة إلى المقاييس التي لديها ، وبالنظر إلى العرف أو للمعادن أو الذوق الذي تراه ، وهذا ما يدعو إلى الحكم الخطئ طبعاً . أضف إلى ذلك أن دراسة الإنتاج الروحي أمر عسير جداً ويحتاج إلى إلمام كثير بالظروف والأحوال التي تحيط بذلك الأمة التي ستدرس أو يحكم عليها . فالعزم Wille مثلاً يجعله كتاب أوربا اليوم من أهم ميزات الأوربي ، وكذلك حبه للسيطرة eroberung Geist ولكن لو حللنا الظروف والأحوال التي حطمت هذه الميول ، وجو الشرق المحرق وخيراته الكثيرة

لوجدنا أن تلك لم تعد ميزة عقلية ، إنما هي ناحية وردت عن طريق الحاجة والمحيط

إن الفيلسوف نيتشه يجعل الحضارة ترادف « العزم على العمل » التي يرددها دائماً will mur macht . وقد أخذت الفاشية ذلك ، وموسوايني من أكبر المحبين لـ نيتشه ، فجعل الامبراطورية تشمل للناحية الروحية كذلك ، فهو ينص في كتابه الذي ألفه في مبادئه على أن السيطرة والاستيلاء Impero لا تنصر على السيطرة بكثرة الجنود والأراضي ، بل تشمل سيادة العالم الروحي وتقوية الإرادة والعزم . وضعت هذه معناه الانحطاط والتدهور (١)

ميراد علي

خريج جامعة هامبرك بألمانيا

(١) أنظر كتاب موسوليني Benito Mussolini, La dottrina del Fascismo Con Una Storia del Movimento fascista di Gioachino Volpe. 1932.

عَبْقَرِيَّةُ الشَّرِيفِ الرِّضِيِّ

للدكتور زكي مبارك

في الأسبوع المقبل تظهر الطبعة الثانية من كتاب « عبقرية الشريف الرضي » في مجلدين كبيرين ، وفي رونق جميل ... وفي الطبعة الجديدة زيادات وتحقيقات فمسل بها المؤلف ألواناً من عبقرية الشريف ضاق عنها الوقت في بغداد ... والطبعة الجديدة بروقتها وتحقيقاتها هي تحية المؤلف إلى الشريف بمناسبة مرور ألف سنة على ميلاد صاحب « الملا والمال » وصاحب « الحجازيات » وهي كذلك استجابة لدعوة الأدباء الذين اشتاقوا إلى رؤية هذا الكتاب في طبعة فاخرة تناسب موضوعه الجليل وقد كان الشريف الرضي يهدد خلفاء بني العباس بأن له في مصر أصدقاء يعتمدون على نجاتهم حين يشاء ، وبهذا الكتاب صحت آمال الشريف فكان له في مصر صديق يتحدث عن عبقريته بإفاسة واستقصاء بعد مرور الأجيال الطوال ومؤلف « عبقرية الشريف الرضي » يسرّه أن تظهر طبعة القاهرة بما ظفرت به طبعة بغداد من حسن القبول ، ويرجو أن يكون لها في الطبعة الجديدة من زيادات وتحقيقات وقع جميل عند المشتغلين بدرس الأدب الرفيع على أنني راضٍ بأن أحمل الهوى وأخرج منه لا على ولا ليا

زكي مبارك